

بسم الله الرحمن الرحيم

امارة المغيرة بن شعبة الشقى على الكوفة

(٤١ - ٢٤ هـ، ٤٠ - ٥٠ هـ)

الدكتور / السيد طة السيد

مدرس التاريخ الإسلامي

كلية الآداب بقنا

برزت شخصية المغيرة بن شعبة على سرج الأحداث منذ اعلان اسلامه^(١) في العام الخامس بعد الهجرة^(٢) ، ولم تك حروب الردة تنتهي حتى ذاعت شهرته في تلك المعارك التي خاضها العرب المسلمين ضد الروم والفرس ، فقد برب المغيرة في واقعة اليرموك بالشام^(٣) ، وفي القادسية ونهاؤند على الجبهة الفارسية في أرض السواد أو العراق العجمي ، ونجلت شجاعته حينما بعثه سعد بن أبي وقاص لمقابلة رستم قائد جيش الفرس حيث كان المغيرة يقف شيئاً من الفارسية فكان الترجمان - كما يقول الطبرى - يوم الهرمزان ، كما يظهر صدق اعتقاده فهو يقول له : " دعوه الى الاسلام في ردة على رستم قبل الدخول في المعركة " ~~أنكم~~ ^أ قتلتمونا دخلنا الجنة وأن قتلناكم دخلتم النار أو أديتم الجزية "^(٤) .

(١) سبق المغيرة بنى قومه من ثقيف في قدومه نحو المدينة حيث أعلن اسلامه بين يدي الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويدرك ابن قتيبة ان المغيرة كان قد خرج في تجارة له مع قوم من المشركين نحو مصر فقتلهم غيلة وأخذ ما معهم ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم انه شهد بيعة الرضوان ، كما يذكر ابن عبد البر تلك الرواية تقريباً ، أما البلاذرى ، فإنه يروى لنا أن المغيرة قدم من مصر ثم أسلم وشهد الحديبية ، لكنه لا يذكر شيئاً عن أسر التجارة ، وتدل رواية ابن هشام على ان اسلام المغيرة كان قبل صلح الحديبية ، فهو يذكر أنه كان يومئذ سياف النبي وأنه يقف على رأسه ، ذلك حينما اجتمع عروة بن معاذ والشقى بالرسول^(ص) . وتشير رواية السيوطى الى أن المغيرة دخل مصر في الجاهلية وأنه اجتمع بالمقوقس عظيم القبط وذاكره بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رجع فأشاء عام الخندق ، وكان أول مشاهده الحديبية . المعارف ، ص ١٦٧ ، السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ ، فتوح البلدان ، ص ٣٤٠ ، حسن المحاضرة ، ج ١ ، ص ٢٣٨ .

(٢) بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم عند ما أسلم وقد ثقى لهدم الالات مع أبي سفيان بانطاف ابن هشام : السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .

(٣) ذكر الواقدى انه فقد عينه في اليرموك ، فتوح الشام ، ج ١ ، ص ٢١٧ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٣ ، حوادث سنة ١٤ .

وفي رواية البلاذري أن سعدا لما بعث المغيرة وتفاصل مع رستم قال له : إن الله بعث علينا نبيه صلى الله عليه وسلم فسعدنا بآياته واتباعه ، وأمرنا بجهاد من خالد بنتنا حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، ونحن ندعوك إلى عبادة الله وحده ، والآيمان بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فان فعلت والا السيف بيننا وبينكم ، فظهر على رستم الغضب ثم قال : والشمس والقمر لا يرتفع الضحى غدا حتى نعتلكم أجمعين . ثم دارت رحى المعركة وكان النصر حليف العرب المسلمين ^(١) .

ومما يدل على هيبة المغيرة وشجاعته في نهاوند ما يذكره البلاذري أيضاً عندما يذكر التuman بن مقرن قائد جيش المسلمين إلى قائد جيش فارس الملقب بذى الحاجبين عظيم العجم فلما بلغ مسكن العدو جمل يشق بسطه برمحه حتى قام بين يديه ، فجلس على سريره ، وقال أني رسول حميم هم بسيحيه من تحته ^(٢) ، وكان المغيرة على ميسرة جيش التuman في تلك الواقعة التي عرفت بعد أن حقق فيها المسلمون النصر بفتح القتوح ^(٣) .

كان أول عمل أسد إلى المغيرة هو توليه البصرة أول مصر اختطه العرب المسلمين عام ١٤ هـ ^(٤) ، فقد عهد إليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بإمارته جند البصرة في أعقاب وفاة عتبة بن غزوان واليها ^(٥) ، فقام بتنظيم ديوانها ^(٦) ، كما عمل على فتح الجهات المجاورة لها حيث تمكّن من فتح ميسان ^(٧) والأهواز سنة ١٥ هـ ^(٨) .

(١) فتوح البلدان ، ص ٢٥٧ ، محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، ص ٣٧ .

(٢) فتوح البلدان ، ص ٣١ .

(٣) ابن قتيبة : المعارف ، ص ١٦٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٢ ، حوادث سنة ٢١ هـ .

(٤) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٣٣٦ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوک ، ج ٣ ، ص ٥٩٠ ، حوادث سنة ١٤ هـ .

(٥) ابن قتيبة : المصدر السابق ، ص ١٦٢ .

(٦) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٣٣٨ .

(٧) كورة واسعة كثيرة القرى والنخيل تقع بين البصرة وواسط . ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ .

(٨) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٣٢٠ ، ابن قتيبة : نفس المصدر ، ص ١٦٢ ، ياقوت : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٢٨٥ .

وتشير المصادر التاريخية الى عزل المغيرة عن امارة البصرة عام ١٢ هـ^(١) ، كما توضح
الاسباب التي دعت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الى اسناد ولاية الكوفة له سنة ٢١ هـ^(٢) .

لم تكن الكوفة معروفة بهذا الاسم قبل تصريحها^(٣) ، وإنما كان موضعها أرضا خالية من
الناس على الضفة الغربية للفرات الى الشرق من مدينة الحيرة مقر حكم المناذرة قبل الاسلام ٠

وكانت قضاة وغسان وكتدة وحضرموت والازد ومذحج وحمير وهمدان والنخع من أهم القبائل
القططانية اليمنية التي اختلطت بها حيث بلغ عدد هؤلاء نحو اثنى عشر ألف من الانفس، بينما
نزل الكوفة وكان بها من القبائل العدنانية حينما تولى المغيرة ثانية آلاف غالبيتهم من قبائل

(١) نقلت هذه المصادر تلك الرواية التي شاعت يومئذ في البصرة حول اتهامه، أو ما أدعى عليه
بالزنا ، وانه شهد عليه قوم بذلك ، فلم يذكر ذلك عمر حتى جيء بالشهد الذين شهدوا
عليه ، ولكن زياد ابن أبيه لم يشهد عليه ، فلم يقم أمير المؤمنين الحد عليه ولا شك أن
الحادفين عليه والذين كانوا يرجون زوال امارته ، هم الذين بعثوا الى عمر بن الخطاب حيث
الحد عن المغيرة . البيلذري : المصدر السابق ، ص ٣٣٩ - ٣٤٠ ، الطبرى : تاريخه
ج ٤ ، ص ٢٢ - ٢١ ، أبو بكر بن العرى : المواصم من ... ص ٢٣٦ ، ابن
خلكان : وفيات الاعيان ، ج ٦ ، ص ٣٦٦ ، أحمد أمين : ظهر الاسلام ، ج ٤ ،
ص ٣٣ ،

(٢) ذكر الطبرى أن عمر بن الخطاب عزل أبي موسى الأشعري لضعفه وعدم مقدرته على حكم أهل
الكوفة ، كما نقل منصور بن الحسين ما جرى من حدث أمير المؤمنين وقوله في ذلك كيف
أعمال أهل الكوفة ؟ ان ارسلت اليهم مؤمنا ضعفه ، وان ارسلت اليهم قويًا فجروه ، فقال
المغيرة يا أمير المؤمنين الصعييف ايمانه له وعليك ضعفه ، والفاجر قوتهلك ، وعليك فجروره
فولاه الكوفة . تاريخ الامم والملوك ، ج ٤ ، ص ١٦٥ ، نشر الدرر ، ج ٢ ، ص ٨٠ .

(٣) ذكر المؤرخون العديد من الروايات في أسباب تسميتها بالكوفة ، فقيل أنها سميت بهذا
الاسم نسبة الى أرضها التي كانت أرضا رملية تخالطها حصبا ، وقيل ان سعد بن أبي
وقاص عندما اختلط موضع الكوفة ، قال للجناد : تكونوا أى أجتماعوا ، كما ذكر أيضا أنها
سميت كذلك نسبة الى جبل صغير في وسطها ، يقال له : كوفان وعليه اختلط
البلدان . متوح البلدان ، ص ٢٢٥ ، الطبرى : تاريخ الامم والملوك ، ج ٤ ، ص
٤١ - ٤٠ ، بقى : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٩٠ - ٤٩١ .

تميم وبنى بكر وبنى أسد وقطنان وحارب ، وبعض من بطون كنانة وجديلة وعبد القيس وتغلب
وإياد وطى ، وثقيف وعامر ومزينة ^(١) .

وقد قسمت هذه القبائل يومئذ إلى ما عرف بنظام الأسباع في الكوفة ^(٢) وفقاً لما ارتآه
سعد بن أبي وقاص ^(٣) ، حيث جمع بين القبائل المشاركة في التسلق والقرب على صعيد واحد ،
ولا شك أن جند المغيرة كانوا من هذه القبائل العربية التي نزلت بالكوفة عقب تصريرها سنه
١٨ هـ ^(٤) .

وكانت منازل الكوفة تبني أخصاصاً من قصب ، إذا غزوا قلعوها ، فذا عادوا أقاموها ، حيث
كانوا يغزوون ونساؤهم معهم - كما ينقل ياقوت ^(٥) - فلما تولى المغيرة أمر أهل الكوفة ببناء
الدور باللين من غير ارتفاع ، وبيده من رواية البلاذري ^(٦) أن المغيرة شجع على ذلك عند مسا
كتب عمر بن الخطاب إليه بشأن خاتم الخلافة ، وكان رجل من أهل الكوفة قد نقل له خاتماً فأصاب
به ما لا من خراج الكوفة ، فلما بلغه كتاب الخليفة عسر جمع الناس وأمر بسجن ذلك الرجل ، وكان
السجن يومئذ من القصب ، فامتن الهرب منه .

لذلك اهتم المغيرة بن شعبه وعمل على تشجيع أهل الكوفة في إقامة الدور من اللين ، كما
عمل على الزيادة في مساحة المسجد الجامع فزاد فيه وأعاد بناء بما يتمنى والزيادة المطردة
في اقبال القبائل العربية واختلطاتها حوله ^(٧) . وكانت تميم وبراء وأسد من قبائل العرب التي
نزلت بأطرافها ، كما كانت دور ثقيف التي ينتهي إليها المغيرة بن شعبه وأشجع بالقرب من
قصر الامارة والمسجد الجامع ^(٨) .

وقد ظلت الكوفة على نظام الأسباع في خططها ، أثنا ، فترة حكم المغيرة بن شعبه إلى أن

(١) ماسينون : خطط الكوفة ، ص ١٠ .

(٢) الطبرى : تاريخ الامم والملوک ، ج ٤ ، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٤ ، ص ٤٩ ، البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٧٦ .

(٤) نفس المصدر ، ج ٤ ، حوادث سنة ١٢ هـ .

(٥) معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٩١ .

(٦) فتوح البلدان ، ص ٤٤٩ .

(٧) فتوح البلدان ، ص ٢٢٦ .

(٨) اليقونى : البلدان ، ص ٤١١ .

جاءَ زِيادٌ فَحَلَّتِلَكَ التَّنْظِيمَاتُ وَأَعْدَادُ تَشْكِيلَهَا عَلَى شَكْلِ أَرْبَاعٍ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مُنْهَارِ جَلٍ^(١) وَقَدْ حَفِظَتِلَكَ الْقَبَائِلُ عَلَى تَقَالِيدِهَا الْعَرَبِيَّةِ لِفَتَرَةٍ، أَمَّا تَقَالِيدِهَا الاجْتِمَاعِيَّةِ الْحَضْرَيَّةِ فَانْهَا أَخْذَتِلَكَ فِي التَّطْوِيرِ تَدْرِيْجِيًّا^(٢)

تولى المغيرة بن شعبة أمراً الكوفة من قبل عمر بن الخطاب بعد عزله لأبي موسى الأشعري فعمل على ضبط الأمور فيها ، وزاد في مسجدها^(٣) ، وكان فعله الشاغل العمل على معايرة الفتوحات نحو المشرق ، فقد أمرت المصادر^(٤) بـ نشاط المغيرة وهمه العالى حيث لم يلبث أن غزا بلاد ميديا وأذربيجان ، وكان العزيزان قد جمع جنداً كثيفاً حول أذربيجان حيث أشتد القتال حينذاك مع جيش المسلمين .

ويذكر البلاذري^(٤) أن العزيزان صالح حذيفة بن اليمان قائد جيش المغيرة حينذاك على مبلغ من المال وبغض الشروط الأخرى ، ثم غزا حذيفة المناطق المجاورة .

وفي رواية أخرى نقلها البلاذري عن الوادى أن المغيرة غزا أذربيجان من الكوفة سنة ٢٢ هـ ، وأنه تمكن من فتحها عنوة ووضع عليها الخراج^(٥) .

ويتضمن من هذه الرواية أن المغيرة ظلل في جهاد متواصل طوال فترة ولايته على الكوفة في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، فقد وجه المغيرة إلى منطقة همدان جرير بن عبد الله البجلي^(٦) ، وكان ذلك في أواخر سنة ٢٣ هـ ، واستطاع فتحها صلحًا وذلك على غرار ما تم فس

(١) ماسينون : خطط الكوفة ، ص ١١ - ١٢ .

(٢) بنزيمه عبد البهاء ، دائرة المأموات في صدر الإسلام ، ص ١٢٣ - ١٢٤ .

(٣) البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٢٢١ ، ٢٢١ ، الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤

ص ٦٥ ، السعدي : مرؤى الذهب ، ج ٢ ، ص ٣٤ .

(٤) فتوح البلدان ، ص ٣٢١ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٣٢٢ ، البيعوبى : البلدان ، ص ٢٢٢ .

(٦) كان سيد بحيلة ذكر البيعوبى انه لما أقطعه أبو عبد الله البجلي في بحيلة رفض ذلك .
المصدر السابق ، ص ٣١١ .

فتى نهاده من قبل (١) .

وفي رواية أخرى أن المغيرة سار إلى همدان فافتتحها سنة ٢٤ هـ وذلك بعد مضي ستة أشهر على وفاة عمر بن الخطاب والواقع أن ذلك التاريخ لا يستقيم ومنطق الأحداث فقد أتى بصر مصر أمير المؤمنين إن تم عزمه عن ولايته (٢) .

ويشير ابن الأثير (٣) إلى سبب عزل المغيرة واستعمال سعد بن أبي وقاص على الكوفة بدلاً منه، ويونس أن عثمان تأم بتنحيت عن عمله بوصية من عمر بن الخطاب تأثر بها: "أوصي الخلية بعدى أن يستعمل سعد افاني لم أعزله عن سوء ولا خيانة" .

والواقع أن المغيرة قضى نحو أربعين عاماً في إمارته للكوفة، لم يقصر في شيء من أمور الفزو والجهاد خلالها وفي تدبير الأمور، ورعاية أهل الفقه والعلم والأدب، وخير دليل على ذلك، ما أوضحه الأصفهانى (٤) حينما كتب عمر بن الخطاب إلى المغيرة أن يراجع شعراً قومه فيما ينشدون من القصائد في الإسلام، فكان أن أرسل إلى الأغلب العجل فاستشهد فقال له: لقد سألت هيناً موجوداً أرجزاً ألم يكتب

لهم بعث إلى الشاعر ليبيه وطلب منه ما قاله في الإسلام، يقول الأصفهانى: "فانطلق ليبيه فكتب سورة البقرة في صحيحة، وقال: أبدلني الله عز وجل بهذه في الإسلام مكان الشعر" فكتب المغيرة بذلك على عمر بن الخطاب.

وهكذا ظل المغيرة في عمله حتى تم عزله سنة ٢٥ هـ وفقاً لرواية ابن الأثير، والتي ذكر فيها أن عثمان أقر عمال عمر جميعهم سنة وذلك بوصية منه قبل وفاته (٥) .

(١) البلاذري: نفس المصدر، ص ٣٠٦، ابن قتيبة: المعارف، ص ١٦٧، اليعقوبي: نفس المصدر، ص ٢٢٢، قدامة بن جعفر: الخراج وحفظة الكتاب، ص ٢٢٣ .

(٢) قدامة بن جعفر: الخراج وصنعة الكتابة، ص ٣٢٩، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام السياسي، ج ١، ص ٤٦٥ .

(٣) الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٢٥ .

(٤) الأغاني، ج ٢١، ص ٣٠ .

(٥) الكامل: ج ٢، حوادث سنة ٢٥ هـ، محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص ٥٨ .

ولادة المغيرة بن شعبة الثانية على الكوفة (٤٠ - ٥٠ هـ) :

اعتل المغيرة سر الأحداث واتجه إلى الطائف، حيث أقام بها بعد أن عزله الخليفة، عثمان عن إمارته لأرمينية وأذربيجان^(١) وسرعان ما ولّى على الكوفة الوليد بن حبّة بعد تزويج سعد بن أبي وقاص عنها^(٢).

وقد أشاع الوليد بن حبّة الفوضى في أنحاء الكوفة بعد أن ظهر ل فهو وفسته، فكان أن حبّة الناس بحصبة المسجد، فتم عزله^(٣)، ولّى عثمان بعده سعيد بن العاص الذي استبد بالأنوال، وشكّا منه الناس^(٤) وهذا ما لم نسمع عنه أثنا، حكم المغيرة لثاني الأنصار الإسلامية.

مهما يكن من أمر، فقد توجه المغيرة إلى مدینتة الطائف حيث بني قومه من ثقيفه، وأقام بين ظهرانيهم، يراقب الأحداث عن كثب، ولا سيما بعد أن اطلت الفتنة برأسها واشتدت الظروف التي أحدها الثوار، عندئذ لم يجد المغيرة بدا من التوجه نحو المدينة حيث كان الثوار قد ضربوا الحصار حول دار الخلافة، فكان ما أشار به على الخليفة عثمان حينما دخله عليه وهو محصور في داره أن قال له: "أنت أمّا العامة، وقد نزل بك ما ترى، وانني أغادر عليك خصالاً ثلاثة: أاما أن تخرب فتقاتلهم، فإن معك عدداً وقوّة وأنت على الحق وهم على الباطل، وأاما أن تخرق لك بباباً سوى الباب الذي هم عليه، فتقعد على راحتكم فتلحق بيكم فأنهم لن يستحلوك، وأنت بها، وأاما أن تلحق بالشام فأنهم أهل الشام وفيهم معاوية، نفّاعان: أاما أن أخرج فأقاتل فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمره بسفك الدماء، وأاما أن أخرج إلى مكة فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لبحدّر رجز من قريش يمكنه يكون عليه نصف عذاب العالم، فلن أكون أنا، وأاما أن أتحقّق بالشام فلن أفارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٥).

(١) الطبرى: تاريخه، ج ٥، ص ١٦٤ .

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ٢، حادثة سنة ٢٥ .

(٣) ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية، ص ٥٣ .

(٤) المسعودى: مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٤٤ - ٣٤٦ .

(٥) السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ١٦١ .

وهكذا لم يقبل الخليفة بما نصبه المغيرة ، وما سعى إليه من أجل إنقاذ الموقف، ودرء الأخطار والحيلولة دون مقتل عثمان خليفة المسلمين .

وتنظر أهمية المغيرة ومكانته في تلك الفترة الحرجة عندما توجه إلى على بن أبي طالب في داره كذلك مشيراً عليه بالعمل على درء الشبهات عنه ما استطاع على ذلك سبيلاً ، يروى الطبرى^(١) أنه قال لعلى رضي الله عنه : " إن هذا الرجل مقول وانه اُنْ قُتِلَ وَأَنْتَ بِالْمَدِينَةِ اتَّخِذْ وَافِيكَ حَاجِرَ فَئَنْ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا ، فَإِنَّكَ أَنْ فَعَلْتَ وَكَنْتَ فِي غَارِ الْبَيْمَنِ طَلْبَكَ النَّاسُ " ولكن أَبَى سَبَبَ أَبِي ذَكْرَه ورفض الخروج من المدينة .

ولما وقع الخطيب وقتل الثوار عثمان بن عفان رضي الله عنه وربه على ابن أبي طالب بالخلافة طلب من المغيرة الانضمام إلى جانبه ، لكنه لم يستجب لطلبه قائلاً له : " أَنِّي وَاللَّهِ يَا أَمْرِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ : مَا رَأَيْتَ عَثَمَانَ مُسِبِّبَاً ، وَلَا قَتَلَه صَوَابَاً ، وَإِنَّهَا لِظُلْمَةٍ تَتَلَوَّهَا ظُلْمَاتٌ ، وَإِنِّي أَرِيدُ يَا أَمْرِيْرَ الْمُؤْمِنِيْنَ أَنْ أَذْنَتْ لِي — أَنْ أُضْعِفَ سَيْفَ وَانَّامَ فِي بَيْتِي حَتَّى تَنْجُلِي الظُّلْمَةُ وَيَطْلُبَ قَبْرَهَا ، فَنَسَرِي بَصَرِيْنَ ، نَقْفُوا آثَارَ الْمُهَتَّدِيْنَ وَنَتَقْيُ سَبِيلَ الْحَائِرِيْنَ " ، فأذن له الإمام على في ذلك^(٢) .

وهكذا خرج المغيرة بعد أن رأى اعتزال الفتنة متوجهًا إلى مكة المكرمة ويرافقه سعيد بن العاص ، ويروى الطبرى ما كان من حديث المغيرة بعد أن طلب منه سعيد الرأى فإنه قال^(٣) الرأى والله الاعتزال فإنهم ما يفلح أمرهم في أن أظفره الله أتيناه ، فقلنا كان هوانا وصفونا (أى ميلنا) معك .

ويظهر من رواية الطبرى أن المغيرة لم يواصل السير نحو مكة ، بل أنه ترك سعد بن العاص على بعد مرحلة منها^(٤) ، واتجه نحو الطائف ويقى بها معتزلاً حتى سنة ٤١ هـ^(٥) .

(١) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، حوادث سنة ٣٥ هـ .

(٢) ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، ج ١ ، ص ٤٩ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٤ ، حوادث سنة ٣٦ هـ .

(٤) نفس المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٤٥٢ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٢٥ .

ولكن رواية أبي مخنف التي نقلها الطبرى توضح لتأثر المغيرة خرج من الطائف حينما كان اجتماع الحكيمين بدوبة الجندي وأنه شهد ذلك الاجتماع^(١).

وكما يبدو فإنه لعبد ورا فيه لصالح معاوية بن أبي سفيان فابن عبد البر^(٢) ينقض ما أنه لما كان حين الحكيمين لحق بمعاوية ، فلما قتل على ، صالح معاوية الحسن ، دخل الكوفة ولاه عليها .

وفي رواية أخرى أنه لما قتل على سنة ٤٠ هـ كان المغيرة من أسرء الناس إلى معاوية وأنه أقبل معه من الشام حتى دخل الكوفة ، فشهد فيها صلح الحسن وبيعة النصارى لمعاوية بها^(٣).

ومهما يكن من شئ ، فإن الروايات التاريخية تكاد تجمع على أن معاوية هم أن يوسي على الكوفة عبد الله بن عمرو العاص ، بعد أن خرج منها الحسن بن علي في طريقه إلى حدبة المنور ، فأشار عليه المغيرة ألا يفعل ذلك وقال له : وتقيم أنت بين فكي الأسد هذا في مرار وهذا في مصر ، فعدل معاوية عن رأيه وجعل المغيرة واليا على الكوفة .

ولكن عمراً لما بلغه ذلك دخل على معاوية فقال له : " استعملت المغيرة على تيفع ف قال نعم فقال : أجعلته على الخراج ، وكما ينقل الطبرى فإنه استطرد قائلاً : استعمل المغيرة على الخراج فيقتل المال ، فيذهب فلا تستطيع أن تأخذ منه شيئاً " فعزل المغيرة عن الخراج واستعمله على الصلة فقط^(٤).

تولى المغيرة بن شعبة عمل الكوفة ، فكان أشد حيطة وحذر من على بن أبي طالب^(٥)

(١) تاريخ الامم والملوک، ج٥ ، حوادث سنة ٣٧ هـ .

(٢) الاستئناف في معرفة الاصحاب، ج٤ ، ص ١٤٤٧ .

(٣) طه حسين : دائرة الکبرى ، ج ٢ ، ص ١٩٩ .

(٤) الطبرى : تاريخ الامم والملوک، ج٥ ، حوادث سنة ٤١ ، ابن الاثير : اكمل في استنباط ج٣ ، حوادث سنة ٤١ .

(٥) محمود اسماعيل : الخوارج وقضية التحكيم ، بحث منشور بمجلة الجمعية المصرية للتاريخية ، ص ٥١ .

فقد عاصر تلك الواقية المؤسفة التي وقعت مع الخوارج ^(١)، وقد عانى أهل المصريين الكوفة والبصرة مما أريق من تلك الدماء بسبب ما نشب من خلافات سياسية اصطدمت بصيغة الدين، حيث صارت الأطراف المتنازعة تكفر بعضها بعضاً وتربى خصومها بالمرور والهرطقة ^(٢).

وعلى الرغم مما انتهت به المغيرة منذ توليه الكوفة ^(٣)، فإنه عمل في حدود ولايته على مراعاة النظر في تدبير أمر جنده، وترتيبها في التواهي والجهات التي يتطلب الأمر تواجدهم بها يعمل على تغذية أرزاقهم، وفي تقليد القضاة وحراسة الدين، وذلك خلافاً عن إمام المسلمين في صلواتهم والعمل على تيسير الحج ^(٤)، فكان يحج بالناس من مصره في كل عام ^(٥).

(١) اعتزل المغيرة تلك الأحداث بالطائف، ولم يخرج لمشاركة الناس إلا في قضية التحكيم في دورة الجندي، ولكنه عاد إلى عزته وبقي كذلك حتى سنة ٤١ هـ.

(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص ٢٥٨ الطبعه الثامنه.

(٣) وصف طه حسين المغيرة أنه كان صاحب لذه مسرفاً على نفسه وعلى الناس كثيراً الزواج كثيراً الطلاق، كما قال عنه أنه أرضى السلطان وأرضى الرعية كما أرضى نفسه. الفتى الكبير ج ٢، ص ٦٠١.

(٤) وذلك ولقاً الشروط التي ذكرها الماوردي في أحكام الولاية وما ينبغي على الوالي القيام به حين تقليد، إマرة أحدى الامصار، الأحكام السلطانية، ص ٢٩ - ٣٠.

(٥) الطبرى: تاريخ الأمم والملوك، ج ٥، ص ١٦٠ - ١٦١، ص ٢١١ - ٢١٥، ص ٢٢٦.

موقف المغيرة بن شعبة من الخوارج :

كان على رأس الخوارج فروة بن نوفل الأشجعى حين بُويع لمعاوية بالخلافة في الكوفة وكان فروة قد اعتزل علياً والحسن في خمسة وخرجوا نحو شهر زور^(١).

ولما بلغ فروة بن نوفل تنازل الحسن لمعاوية قال لأصحابه: "جا، الآر ما لاش فيه، فسروا الى معاوية فجادلوه، فخرج هو وأصحابه الى الكوفة، فأرسل اليهم معاوية جيشاً من أهل الشام لقتالهم، فلما هزم الخوارج خطب في أهل الكوفة قائلاً لهم^(٢): ' لا انتم لكم والله عندي حتى تكونوا بوائقكم ' ولكن الخوارج حينما علموا بخروج أهل الكوفة لقتالهم رضباً منهم ذلك وقالوا لهم: ' ولكم ما تبغون : أليس معاوية عدونا وعدوك، دعونا نقاتلهم، فلن أنت كنا قد كفيناكم عدوانا وعدوك، وأن أصابنا كتم قد كفيتمنا '، فأباين أهل الكوفة إلا انت رحني يغلبوا بهم^(٣).

هكذا واجه معاوية بن أبي سفيان معارضه الخوارج القوية لحكمه، وذلك استناداً إلى أن لم ينزل الخلافة عن أجمع المسلمين، كما عابوا عليه اتخاذ القصور والحرس والحجاب، وكذلك يرون أن الخلافة حق لكل عربي حر، وليس لغيره الحق في أن تؤثر نفسها بالخلافة^(٤).

ولا شك أن الخوارج رأوا في حكم المغيرة للකوفة حينما عهد إليه معاوية بولايتها سنة ٤٤ هـ حكماً لا يتفق وتلك المبادئ التي اعتنقوها وأمنوا بها، إذ كان من الصعب على واسع الکوفة رد هم إلى الجماعة بالحجية والاقناع، ولا عجب في ذلك فقد أصبحوا بعد قتالهم لعلى يقتلون أن غيرهم من العرب المسلمين ثقراً وأن دماءهم وأموالهم حلال، لذلك أصبح على بايسى الأمر أن يسلك معهم سبيل الشدة والقمع ليأمن من شرهم ويحول دون تغييرهم لكلمة المسبيين^(٥).

(١) اقليم واسع بين أردبيل وهمدان في بلاد الجبل وأهلها من الأئمداد كانوا يمتازون بالشدة والشدّة . ياقوت: *معجم البلدان*، ج ٣ ، ص ٣٢٥ .

(٢) الطبرى: *تاریخ الامم والملوک*، ج ٥ .

(٣) نفس المصدر، ج ٥ ، ص ١٦٦ .

(٤) حسن ابراهيم: *تاریخ الاسلام السياسي* ، ج ١ ، ص ٣٢٨ .

(٥) حسن ابراهيم: *تاریخ الاسلام السياسي* ، ج ١ ، ص ٣٨٨ .

وقد ذهب كثير من المؤرخين الى القول بأن المغيرة آثر العافية ولم ي عمل على استئصال الشر قبل استفحاله^(١)، بل ترك للخوارج وغيرهم من الشيعة يعظم أمرهم ويشتد بالكوفة وغيرها بالعراق، تاركا تلك الأخطار لمن يخلفه في حكم الكوفة^(٢)، والواقع أن المغيرة لم يفعل ذلك، وإنما راح يتصدى لهؤلاء الخوارج حينما اطل خطرهم على حرم بنى أمية بالعراق لم يكن المغيرة يتوجه للقتال، وإنما كان حسن السيرة يكره اراقة الدماء، فلم ي العمل على التدخل في شئون الخوارج أو غيرهم حيث كان يؤمن في بداية عهده، فيقال له: إن هذا برأي رأى الشيعة، وإن فلانا يرى رأى الخوارج، فكان يقول: قضى الله إلا تزالون مختلفين وسيحكم الله بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون^(٣).

وهكذا آثر المغيرة اسلمة والعافية، فلم يقتضي أهل الأهواء عن أهواهم كما يذكر الطبرى وكان الخوارج يومئذ يلقى بعضهم بعضاً ويتدابرون أخوانهم بالشهر وان ما أصابهم، ويرون أن السكوت على حكام بنى أمية فيه الظلم والمهانة، وأنه في جهادهم الفضل ونالوا جزء^(٤).

كان الخليفة معاوية يدرك قدر المغيرة وما يتصرف به من الدهاء، وأنه قادر على مواجهة الخارج وغيرهم، فقد سبق للمغيرة حكم الكوفة في عهد عمر بن الخطاب، وساس أهلها وخسير عشائرها، واختبر شيوخ أسباعها، ولا شك أن ذلك قد أدى إلى نجاح مهمته والمعلم على تعضيد سلطان بنى أمية في العراق، وقد تجلى ذلك فيما وقع من أحداث فردية سنة ٤١ هـ كما يذكر ابن الأثير^(٥)، منها أن المغيرة حينما علم بخروج شبيب بن بحر على حكميتي أمية بالقرب من الكوفة، فاتَّ بعث إليه خيلا عليها خالد بن عرفطة، حيث تمكن من قتل شبيب وأصحابه.

كذلك يوضح ابن الأثير أنحبينا خرج معين بن عبد الله في الكوفة، فان المغيرة بعث إلى معاوية بالشام يخبره بأمر خروجه، فكتب إليه بضرورة القبض عليه، فان شهد أنه خليفة وأنه

(١) الطبرى: تاريخ الأمم والملوک، جه، حوادث سنة ٤٣ هـ.

(٢) Wellhausen: The Arab Kingdom and its Fall, P.118.

(٣) تاريخ الأمم والملوک، جه، حوادث سنة ٤٢ هـ.

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(٥) الكامل في التاريخ، ج ٣، حوادث سنة ٤١ هـ.

أمير المؤمنين ، فخلق سبليه ، وان أبيه فاقته ، فكان جزاءه النقل (١) .

ولما خرج أبو مريم ولد بن الحارث بن تعب على حمه بنى أمية بالكوفة ، وجه اليه المغيرة أحد رجاله ويدعى جابر البجلي فاصطاد قته وأصحابه (٢) .

وفي عام ٤٢ هـ خرج كذلك أبو ليلى ومعه ثلاثون رجلا من العرائى ، فبعث اليهم الشيعة ، ممثل بنى قيس الرياص ، فتمكن من عزلتهم وقتل ابن ليلى بسواد الكوفة (٣) .

لم تكن تلك الأحداث من الخطورة يمكن أن يُسكن النزاع عليها والقضاء على أصحابه ، ولكن الخطورة التي صارت تهدى حكم المغيرة إلى الكوفة من قبل معاوية بن أبي سفيان بازت تعالى رأسها عند ما بلغ المغيرة أن الخبراء صاروا يعتقدون الاجتياح المنشطة ، ساروا نحو حمص ، من ثم إلى إدلب ، وإنهم بايعوا المعتذرون بين علّم النبي أبا ذئب لهم ، ثم مددوا جنادى ، الآخرة سنة ٤٢ هـ (٤) ، ولم يكن العزيراج قد دارسوا لهم خلايصة جديدة بعد ما سمعوا مساعي مجذ الله بن وعقب الواسى (٥) .

وكان أمير الخوارج الجديد – كما روى ابن الأثير (٦) – قد قتلا أخوه هلالا بمحاربه في المعارك التي وقعت بعد يوم النهروان .

بعث المغيرة صاحب شرطته قبيصة بن الدمن لمحاصرة دار حيان ويقول الطبرى
”فله يشعر حيان بن ظبيان الا والرجال معه فى داره نصف ، التهار واد معه معاذ بن حيبىون وتحمود من عذربىون رجلا من أصحابهما ” ، ولم يتمكن هؤلاء من استخدام سيفهم الذى كان
يخصّونها فألقى القبض عليهم وانتطلق بهم إلى حاكم الكوفة ، فلما مثلوا بين يديه أثروا

(١) نفس المصدر والمقدمة .

(٢) الكتاب فى التاريخ ، ج ٣ ، حادثة سنة ٤١ .

(٣) نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٢٧٨ .

(٤) فطهير زاد ، الجزء والشيعة ، ص ٥٠ .

(٥) لم يكن عبد الله بن وهب أبا سى من قريش وإنما هو من ” راسب ” حتى من الإرد ،
قبائل أربعين المعروفة ، أحمد أمين : فجر الإسلام ، ص ٢٥٩ .

(٦) الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٤١ .

اجتماعهم، وادعوا أنهم يجتمعون في دار حيـان ليقرأوا القرآن عليهـ، ولكن المغيرة لم يسمع لقولـهم، وأمرـ أن يزجـ بهـم في السـجن، فـبـقوا فيهـ قـرابة عـام (١).

وكان المغيرة قد بلـغـهـ أنـ الخـوارـجـ خـارـجـةـ عـلـيـهـ وـأـنـهـمـ قدـ باـيـعـواـ الـمـسـتـورـدـ بـنـ عـلـفـهـ هـذـاـ فـخـطـبـ فـيـ آـهـلـ الـكـوـفـةـ وـحـذـرـهـمـ مـغـيـرـةـ ذـلـكـ، فـكـانـ ماـ قـالـ (٢)ـ:ـ فـنـقـواـ أـيـهـاـ النـاسـ سـفـهـاءـ كـمـ قـبـلـ أـنـ يـشـمـ الـبـلـاـ،ـ عـوـامـكـ،ـ وـقـدـ ذـكـرـ لـهـ أـنـ رـجـالـاـ مـنـكـ يـرـيدـونـ أـنـ يـظـهـرـوـاـ فـيـ الـمـصـرـ (ـيـعـنـىـ الـكـوـفـةـ)ـ بـالـشـفـاقـ وـالـخـلـافـ،ـ وـاـيمـ اللـهـ لـاـ يـخـرـجـوـنـ فـيـ حـىـ مـنـ أـهـيـاـ،ـ الـعـربـنـىـ هـذـاـ اـنـصـرـ إـلـاـ أـبـدـتـهـمـ وـجـعـلـتـهـمـ نـكـلاـ لـمـ بـعـدـهـمـ (ـ).

لم يكتـفـ المـغـيـرـةـ بـالـقـاءـ الشـائـرـينـ مـنـ الـخـوارـجـ فـيـ سـجـنـ الـكـوـفـةـ بـلـ أـنـ جـمـعـ رـؤـسـاءـ الـعـشـائـرـ وـخـطـبـ فـيـهـمـ وـحـذـرـهـمـ مـنـ تـلـكـ اـفـةـ الـمـارـقـةـ الـخـاطـئـةـ الـذـيـنـ اـسـتـحلـوـ دـمـاـ،ـ الـمـسـلـمـيـنـ وـشـهـدـوـاـ عـلـيـهـمـ بـالـكـفـرـ (ـ٣ـ).

وقد أـذـعـنـ رـؤـسـاءـ الـعـشـائـرـ لـهـ طـلـبـ مـنـهـمـ الـمـغـيـرـةـ بـنـ شـعـبـةـ الـعـمـلـ عـلـىـ نـفـيـ هـؤـلـاـ،ـ الـخـوارـجـ مـنـ الـكـوـفـةـ،ـ وـلـمـ بـلـغـ ذـلـكـ الـمـسـجـونـيـنـ مـنـهـمـ،ـ وـمـاـ أـجـمـعـ عـلـيـهـ أـهـلـ الـكـوـفـةـ مـنـ الرـأـيـ لـاـخـرـاجـهـمـ قـالـ شـاعـرـهـ يـوـمـيـشـ مـعـاذـ بـنـ حـوـيـنـ اـبـنـ حـصـيـنـ (ـ٤ـ):ـ

أـلـاـ أـيـهـاـ الشـارـوـنـ (ـ٥ـ)ـ قـدـ حـانـ لـأـمـرـهـ

شـرـىـ نـفـسـهـ لـلـهـ أـنـ يـسـتـرـحـلـاـ

أـقـتـمـ بـدـارـ الـخـاطـئـيـنـ جـهـاـلـاـ

وـكـلـ اـمـرـهـ فـيـكـمـ يـصـادـ لـيـقـتـلـاـ

فـشـدـوـاـ عـلـىـ الـقـوـمـ الـعـدـاءـ فـانـماـ

أـقـاتـكـمـ لـلـذـبـحـ رـأـيـاـ مـضـلـلـاـ

(١) الطبرى: تاريخهـ، جـ٥ـ، صـ١٨٢ـ، يـاقـوتـ: معـجمـ الـبـلـدانـ، جـ٤ـ، صـ٩ـ.

(٢) نفسـالمـصـدرـ، جـ٥ـ، صـ١٨٤ـ.

(٣) نفسـالمـصـدرـ، جـ٥ـ، صـ١٨٦ـ، أـحمدـ أـمـيـنـ: فـجـرـ الـاسـلامـ، صـ٢٥٨ـ.

(٤) الطبرى: تاريخهـ، جـ٥ـ، صـ١٨٧ـ.

(٥) صـارـ الـخـوارـجـ يـسـمـونـ أـنـفـسـهـمـ "ـاـنـشـرـاهـ"ـ أـيـ الـذـيـنـ شـرـوـاـ أـنـفـسـهـمـ أـيـ باـعـوـهـاـ فـيـ سـبـيلـ اللـهــ،ـ ضـيـاءـ الدـينـ الـرـيـسـ:ـ النـظـرـيـاتـ السـيـاسـيـةـ الـاسـلامـيـةـ،ـ صـ٦ـ.

ونقل الطبرى من رواية أبي مخنف - أن المستورود بن علقه زعيم الخوارج بعث إلى أصحابه طالبا منهم الخوارج من الكوفة وذلك حتى لا يصيب أمراء مسلما بسيبهم، فكان خروجهم منها جماعة تلو أخرى حتى بلغ عدد الخارجين منهم ثلاثة وعشرين (١) .

كان أكثر هؤلاء الخوارج من عرب الكوفة والبصرة الذين اخْتَطَوا بها ، حيث لم تستطع الحياة الجديدة في تلك الامصار الناشئة أن تؤثر في طبائعهم أو أخلاقهم اليدوية بعده ، وكانتوا في غالبيتهم من قبائل تميم والأزد وربيعة ، من الذين لم يعتنوا بفضل قريش أو يحبهن فسوا الخلافة (٢) .

دعا المغيرة بن شعبة رؤساء الناس بالكوفة ، وسألهم فيمن يريد الذهاب لقتالهم ، وكانتوا من الشيعة فتجمعوا جميعاً للخروج إليهم ، وكان من أشد هم حماسة صعصمة بن صوحان العبدى ولدن المغيرة لم يوافقه على أن يكون أميراً عليهم ، وذلك لما بلغه في العيب على عثمان تمسّك وأكثره في ذكر علي بن أبي طالب وأنه يفضله (٣) .

وقع اختيار المغيرة على مُعَقْلِ بْنِ قَيْسِ التَّمِيمِ ، فخرج على رأس جيش بلغ عدته بـ ٧٠٠٠ ليلةآلاف من خيرة الشيعة ورؤسائهم . ولا شك أن تولى أمراً الجيش لأحد زعماء بنى تميم كان من دها ، المغيرة ، فمن المعروف أن هؤلاء الخوارج كانوا في غالبيتهم من هذان والأزد ومن قبيلة تميم ، وكانت تميم أهون شأنًا وأقل خطراً ، حيث وقت بعض بطنون من تميم من الخوارج موقف العداء (٤) .

كان المغيرة يكره اراقة الدماء ، يتضاع ذلك من قوله لقائد جيشه مُعَقْلِ بْنِ قَيْسِ : تسر إلى هذه المصابة المارقة الذين فارقوا جماعتنا ، وشهدوا عليها بالكفر ، فادعهم إلى انتقام

(١) تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ١٨٨ ، فلهوزن : الخوارج والشيعة ، ص ٩٣ .
(٢) Nishiso n., Literary History of The Arabs , P.208 .

(٣) الطبرى : تاريخ ، ج ٥ ، حوادث سنة ٤٣ .

(٤) محمود اسماعيل عبد الرزاق ، الخوارج وقضية التحكيم ، بحث منشور بالجلة التاريخية المصرية ، المجلد العشرون ، ص ٥٠ .

والى الدخول في الجماعة فان فعلوا فا قبل منهم وكسف عنهم، وان هم لم يفعلوا فننا جزهم، واستعن بالله عليهم^(١).

وكان الخوارج قد بلغوا الصراة^(٢)، وعملوا على عبور الجسر على دجلة يريدون بذلك المدائن حينذاك، ولكن سالك بن عبيدة العبيسي – وكان عاملاً عليها من قبل المغيرة – قطع الجسر عليهم، وعول على منعهم من دخول المدائن، فبعث إليه المستوره بنهاه عن قتيل ذلك فأبى وقال لرسوله الذي بعث به^(٣): «بابى أذهب إلى سنجق نقل له: أنس الله وارجع عن رأيك وادخل في جماعة المسلمين»، فان أردت أن أكتب لك في طلب الأمان التي المغيرة فعلت، فانك ستتجده سريعاً إلى الاصلاح محياناً للعافية»، لكنه أعرض عن تصرّفه وعاد من حيث آتى.

ومهما يكن من أمر فإن قائد جيش المغيرة لم يربدا من منازلتهم بعد رفضهم الازعان والدخول في طاعة ولی أمر المسلمين، وبعث أبا الروافع الشاكرى في ثلاثة فارس ليتبع آثارهم ثم ما لبث معقل بن قيس في إثره فلحقوا بهم بالمدار بين واسط والبصرة ودارت بينهم معركة شديدة اضطر فيها الخوارج إلى الاختباء في بيوت المدار^(٤).

وفي تلك الآونة سمع الخوارج ان مددًا يبلغ ثلاثة آلاف من شيعة البصرة قد أقبلوا على جيش معقل، وأن أكثرهم من قبيلة ربيعة، وأن هذا المدد صار قريباً منهم، هنالك عملوا على الانسحاب إلى جرجرايا فنزلوها وكانت من أرض الكوفة وكانوا على ثقة من أن أهل البصرة لن يلحقوا بهم إلى هناك^(٥).

وقد صدق حدتهم فان شيعة البصرة أتوا مواصلة السير نحوهم طالما أنهم صاروا إلى أرض

(١) الطبرى: تاريخه ج ٥ ص ١٨٩.

(٢) نهر صغير يصب في نهر دجلة، ويدرك بأقوت أنها نهران هما الصراة الكبرى، والصراة الصغرى، معجم البلدان، ج ٣ ص ٣٩٠.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٣، حادثة سنة ٤٣٠.

(٤) حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسى، ج ١، ص ٣٨٩.

(٥) فلبيرون: الخوارج والشيعة، ص ٥٦ - ٥٧.

الكوفة، وكان قولهم آنذاك: لا نعمل^(١): إنما أقبلنا نحوهم لتنفيهم عن أرضنا وتنعمهم من دخولها فان كانوا الله مئونتهم فانا منصرون الى مصرنا . وفي أهل الكوفة من ينعمون به بلاده^{*}
يقول شاعرهم في ذلك^(٢):

كمضعة أولاد أخرى وضيخت

بنيها فلم ترقع بذلك مرتعها

نزل الخارج ساباط حيث انتهوا الى جسر بالقرب من الكوفة وأبوا الرواغ وأصحابه ما سُر المدائين ، وعبد المستوره قائد جيش الخوارج الى مbagتة جيش الكوفة الرئيسى ، حيث تم تبرد ممتازة أبي الرواغ الشاكرى ، وهكذا فوجى جيش الكوفة بقيادة معقل بن قيس وكانت هناك مقاومة شديدة ، ولكن أبو الرواغ ظهر فجأة وحمل هو وأصحابه على الخوارج من حيث مؤخرتهم . ولم يلبيت أن نثبت المعركة الفاصلة ودار القتال العنيف بينهم^(٣) ، حتى قتل الخوارج عن آخرهم . بعد أن كبدوا جيش الكوفة خسائر فادحة^(٤).

وتصور لنا المصادر كيف التقى المستوره بن علقة التبعي ومعقل بن قيس الرياص في مبارزة بينهما ، وكانت تلك النهاية المؤسفة ، إذ أقبل معقل على المستوره فضربة بالسيف فخالط دماغه ، بعد أن طعن المستوره برمحة فخرج السنان من ظهره ، فخر كلاها صريعاً . ثم لم يلبيت أن حمل عمرو بن محزق التبعي على الخوارج فقتلواهم عن آخرهم تقريباً . وأخيراً عيد الله بن عقبة الذي نجا بجواره الى الكوفة وهو من فئة الخوارج فكان أول من أتبأ المقبرة بالنصر عليهم ، فكان جزاءه أن على عنه . يقول فلهوزن^(٥) : ولو جاء الخوارج كثيـرـاـ
المـقـبـرـةـ لـكـانـ قدـ خـانـهـمـ أـيـضاـ .

وهكذا استطاع الغيرة أن يقضى على خطر الخوارج بعد عامين من ولادته على البرقة حيث لم تقم لهم قائمة بأرض الكوفة حتى وفاته سنة ٥٠ هـ^(٦).

(١) الطبرى: تاريخ الامم والدول، جهه ، حوادث سنة ٤٣

(٢) الطبرى : المصدر السابق ، جهه ، ٢٠١ ص

(٣) ابن حزم: جمدة انساب العربه ص ١٩٩

(٤) الطبرى: تاريخ ، جهه ، حوادث سنة ٤٣ ، ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، جهه ، ٢٩٥

(٥) الخوارج والشيعة ، ص ٥٨

(٦) ابن قتيبة: المعارف ، ص ١٦٢

موقف المغيرة بن شعبة ازاء الشيعة بالكوفة:

ضعف أمر التشيع في نفوس أهل الكوفة، بعد أن تمت البيعة لعامة الذي آتى به حكم المسلمين، وأصبح صاحب السلطان المطلق على أمر نزول الحسن بن علي له عن الخلافة ومقاماته إلى المدينة (١).

ومرت أعوام قليلة انصرف خلالها أهل الكوفة إلى ممارسة الخوارج وتحقيق النصر عليهم، كما أسلفنا - وكان هؤلاء من الشيعة الذين أبلغوا بلا حسنة في مقاتلة الخارج بقيادة معقل بن قيس الرياص وغيره من زعماء العشائر بالكوفة.

أخذ أهل الكوفة وغيرهم بالبصرة في تلك الاثناء، يندمون على ما وقع من صلح بينهم وبين أهل الشام، وتشير المصادر إلى أنهم باتوا يقدرون في معاودة الاتصال بالحسن، وهذا جعلت وفودهم تندى إلى المدينة للقاء الحسن وتتبادل الرأي معه في الخروج على حكم عامة السذى نهج على سبابة لم يكونوا يعرفوها من قبل. فقد أخرجتهم من طاعة الائمة، فريضة لا ينبغي التردد فيها أيام أيامهم على بن أبي طالب، وجعل يعلمهم أن طاعة الائمة فريضة لا ينبغي التردد فيها أو الالتواء عليها وأنه من بغض السلطان فلا أمان له، وقد برئت منه ذمة (٢).

وقد تجلت معارضه شيعة الكوفة فيما أقدم عليه سليمان بن صرد حين أنكر على الحسن تنازله لعامة عن الخلافة منذ البداية، ولم يحدد أين تقييته (٣) ذلك التاريخ الذي خرج فيه من الكوفة على رأس وفد من أعيان الكوفة وهو يومئذ سيد أهل العراق - وذلك لمعابرته الحسن وتتبادل الرأي معه، فلما بلغ المدينة ودخل على الحسن قال له: "ما ينقضى تعجبنا من بيعتك معاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة كلهم يأخذ العطاء، وهم على أبواب منازلهم، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم، سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في المعهد ولا خطأ من القضية" وأخذ شيخ الوفد في مطالبة الحسن بجعل سليمان أميرا عليهم، وأن ياذن لهم في المسير إلى الكوفة حتى يعلموا خلع المغيرة بن شعبة وإلى الكوفة من قبل معاوية يومئذ، وخروجها منها، ورفع راية العصيان

(١) حسن ابراهيم: تاريخ الاسلام السياسي، ج ١، ص ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٢) طه حسين: الفتنة الكبرى، ج ٢، ص ١٨٢ - ١٨٨.

(٣) الامامة والسياسة، ج ١، ص ١٤١.

استعداداً لخوض الحرب مع أهل الشام والخلاص من حكم بنى أمية^(١).

ويستطرد ابن قتيبة في ذكر ما كان من الحسن بن علي ورفضه لمسايرة وفد أهل الكوفة فيما يراه من الرأي، وقد أبى نقضه الصلح مع معاوية ایثاراً للسلم وحقنا للدماء، بينما روى^(٢) رد الحسن على الوفد قوله لهم: أنت شيعتنا وأهل مودتنا، ومن نعرفه بالنصيحة والصحبة والاستقامة لنا، وقد فهمت ما ذكرتم ولو كنتم بالحزن في أمر الدنيا، ولذلك أعمل وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني بأساً وأشد شديمة، ولكن رأي غير ما رأيتم وكني شهد الله وأياكم أني لم أرد بما رأيتم الا حقن دمائكم واصلاح ذات بينكم، فاتقوا الله وارضوا بقضاء الله وسلعوا لامر الله، والزموا بيوتكم ودقوا أيديكم^(٣).

خرج سليمان بن صرد وهو غير قانع بما أبداه من الرأي، فدخل مع وفده على الحسين في داره، وعرض عليه بما نص له أخوه، فكان رد الحسين على ابن صرد أنه قال^(٤): "ليكن كل رجل منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام معاوية حي، فإنها بيعة كت وآتى به كثرة، فإن هلك معاوية نظرنا ونظرتم ورأينا ورأيتم" وهكذا أشار الحسين عليهم بضرورة التبرّت حتى يتفضّل الله أمراً كان مفعولاً.

ويرى طه حسين أن لقاء الوفد مع كل من الحسن والحسين ومداولة الأمر بينهما شأن^(٥) حكمي أيمك أن بثابة النواة الأولى لتكوين الحزب السياسي الذي عرف بحزب الشيعة^(٦).

وعلى كل حال فقد عاد وفد الشيعة إلى الكوفة، وبدأ في اظهار المعارضه لسيئة معاية^(٧) في العراق، وقد تجلّى ذلك في مواجهة المغيرة بن شعبة عندما عمل على تنفيذ تلك السياسة التي سار عليها معاوية من سب على بن أبي طالب وأهل بيته على المنابر في الكوفة^(٨) مغيرها من الأمسار حينذاك^(٩).

(١) الامامة والسياسة، ج ١، ص ١٤١.

(٢) نفس المصدر والصفحة.

(٣) الامامة والسياسة، ج ١، ص ١٤٢.

(٤) الفتنة الكبرى، ج ٢، ص ١٨٩.

(٥) محمد متير حباب: الدعاية السياسية في العصر الاموي، ص ٢٠٣.

وينقل الطبرى رد زعيم الشيعة حجـر بن عدى على ما كان من سبـاعـلى وأصحابـه على مـسـيرـ الكـوـفةـ، فـهـوـ يـقـولـ لـلـمـفـيـرـةـ (١)ـ:ـ "ـاـنـ مـنـ نـدـعـونـ وـتـعـيـرـونـ لـأـحـقـ بـالـفـضـلـ،ـ وـاـنـ مـنـ تـرـكـونـ وـتـطـرـوـنـ أـلـوـىـ بـالـذـمـ"ـ فـيـرـدـ عـلـيـهـ:ـ يـاحـجـرـ،ـ لـقـدـ رـمـيـ بـسـمـكـ،ـ اـذـ كـنـتـ اـنـاـ الـوـالـىـ عـلـيـكـ،ـ يـاحـجـرـ وـيـحـكـ اـنـ السـلـطـانـ،ـ اـتـقـ خـصـبـهـ وـسـلـطـوـنـهـ،ـ فـاـنـ خـصـبـهـ السـلـطـانـ اـحـيـاـنـاـ مـاـ يـهـاـكـ اـسـارـكـ وـكـانـ الـمـفـيـرـ يـغـوـعـنـهـ وـيـصـفـيـهـ وـلـاـ يـهـذـيـهـ،ـ اـلـاـمـ قـامـ خـطـيـبـاـ بـدـمـ ظـلـيـاـ وـشـيـعـتـهـ،ـ وـيـلـعـنـ ثـلـاثـ عـمـسـانـ اوـ بـسـتـغـفـرـ لـهـ وـيـمـجـدـهـ (٢)ـ.

ويرى المؤرخون أن المفيرة كان سبلاً ليناً مع الشيعة حيث كان يتبين انها ازدواجية والمعنى معهم، ويُسرى الطبرى (٣) تساهل المفيرة لا يشار الى اثناء المعاوية معهم، ويهتف قلـهـوزـنـ (٤)ـ اـنـ الـمـفـيـرـ لـمـ يـعـمـلـ عـلـيـهـ دـرـ الاـخـطـارـ قـبـلـ وـفـوـءـهـ،ـ وـذـلـكـ لـاـ دـرـ اـكـهـ اـنـهـ لـمـ يـعـدـ فـيـ الـعـرـقـ حـتـىـ يـوـاجـهـ تـلـكـ الاـخـطـارـ اـوـ اـنـهـ تـمـ يـكـنـ يـسـعـيـ اـلـاـ لـمـ اـنـتـهـ عـلـيـهـ حـيـاتـهـ وـاـنـهـ عـلـيـهـ اـسـتـهـ (٥)ـ مـنـصـبـهـ.

اما لامانتس (٦)ـ،ـ فـاـنـهـ يـبـرـرـ تـسـاهـلـ الـمـفـيـرـ،ـ وـاـنـ ذـلـكـ يـرـجـعـ اـنـ كـبـرـ سـنـهـ فـهـوـ يـقـسـمـ عـنـهـ:ـ اـنـ لـوـ كـانـ اـصـفـرـ سـنـاـ لـمـ تـرـدـ فـيـ مـوـاجـهـةـ تـلـكـ الصـعـوبـاتـ بـالـشـدـةـ الـمـطـلـوـبـةـ،ـ وـلـكـ اـيـسـارـ الـمـفـيـرـ لـلـسـلـمـ وـجـبـهـ لـلـعـافـيـهـ اـنـسـاـهـ اـنـ حـاـكـمـ مـنـ قـبـلـ الـاـمـوـيـنـ وـاـنـهـ خـاصـعـ لـهـهـ (٧)ـ.

كان معاوية بن أبي صفيان يرسل العبيدون الى الامصار (٨)ـ،ـ وـيـشـهـاـ اـنـكـوـفةـ لـلـقـوـيـهـ عـلـيـهـ ماـ يـجـسـرـ فـيـهاـ (٩)ـ،ـ وـكـانـ يـنـذـرـ عـلـيـهـ وـالـيـدـ عـلـيـهـ اـنـكـوـفةـ الـمـفـيـرـةـ تـسـاهـلـهـ مـعـ حـجـرـ بنـ عـدـىـ،ـ وـكـانـ الـمـفـيـرـةـ كـانـ يـرـانـعـ عـرـسـيـهـ اـسـمـاـ،ـ الـقـرـىـ،ـ مـنـ بـقـوـنـهـ:

"ـاـنـ قـدـ قـتـلـتـهـ،ـ اـنـ سـيـأـتـىـ اـمـيـرـ بـعـدـىـ فـيـحـسـبـهـ مـثـلـيـ فـيـصـنـعـ بـهـ شـبـيـهـاـ بـهـاـ تـرـوـنـهـ يـمـنـعـ بـهـ فـيـأـخـذـ وـعـدـ اـوـ وـهـةـ فـيـقـتـلـهـ شـرـ تـلـهـ،ـ اـهـفـدـ اـقـرـبـ اـجـلـيـ،ـ وـضـعـفـ عـمـلـيـ،ـ وـلـاـ اـنـجـبـ اـنـ اـبـنـدـىـ

(١) تاريخ الامم والملوک، ج ٥، ص ٢٥٤.

(٢) فلهوزن: الخوارج والشيعة، ص ١١٤.

(٣) تاريخه، ج ٤٥، ص ٢٥٤.

The Arab Kingdom , P.118.

Etudes sur le Siecle des Omayyades, P.39.

(٤) اـلـاصـفـهـانـ:ـ الـأـغـانـىـ،ـ جـ ١٦ـ،ـ صـ ٢١٢ـ،ـ جـ ٢١ـ،ـ صـ ٢٢ـ.

أهل هذا المصر بقتل خيارهم ، وسفك دمائهم ، فیصدوا بذلك وأشقي ، ويعزفون عن الدنيا
معاوية وبذل يوم القيمة المغيرة ، ولكن قابل من محسنهم ، وعاف عن مسيئهم ، وحامى
حليهم و ساعظ سفيههم ، حتى يفرق بيني وبينهم الموت وسيذكروني لو قد جربوا بعدى ^(١) .

وقد صدقنبأة المغيرة ، فعندما تولى الكوفة زياد بن أبي خلف له ، لم يلبث أن
قبض على حجور بن عدى وأرسله وأصحابه إلى دمشق ، فكان أن أمر معاوية بقتله في نفس
ذلك سنة ٥١ هـ ^(٢) . يتعلّق المصعودي ^(٣) في كان أول من قتل صبرا في اهـ سلام .

عمل المغيرة على استئصال بعض زعماً الشيعة بالعراق ، فقد نجح في سبيل اقتاء زياد وكان
من كبار أنصار علي ومن دهاء العرب المشهورين حينذاك ، وذلك في تحوله من ولاته لملكي
إلى مواليه لمعاوية ، وتشجيع المغيرة له من أجل الصلح معه ، والعمل على الحاجة بتضييف
أبي سفيان ^(٤) .

وكان معاوية يؤمّن بدعو زياد إلى الدخول في طاعته بعد أن كان منها له بتبديد
الأموال التي جباها من كورة فارس ، وبذكر المصعودي أن المغيرة كان يوصي زياد بغير
تقدمه على معاوية فيقول : أرم بالغرض الأقصى ، ودع عنك الفضول ، فإن هذا الأمر لا يهم
إلا أحد إلا الحسن بن علي ، وقد بايع لمعاوية ، فخذ لنفسك قبل التوطين . ولكن زياد
يطلب آنذاك الاستزادة منه ، فيضيف المغيرة فيقول : أرى أن تتقل أصلك إلى أصله ، وتتصدى
حبلك بحبله وأن تعير الناس منك أذنا صماء ^(٥) .

خرج زياد بعدها إلى الشام ودخل على معاوية فكان أن استلحقه بنسبة وأعن ذاته
على منبر المسجد الجامع في دمشق أن زياداً أخاه ، وأن أبوه أبو سفيان ، وقد برع معاوية
ما فعله للناس حينئذ وقال : إنني لم أنكر بزياد من ذلة ، ولكن عرفت حقاً فوضعته موضعه . ولم

(١) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ، ص ٤٥٥ .

(٢) المصدر السابق ، ج ٥ ، حوادث سنة ٥١ هـ .

(٣) مروي الذهب ، ج ٣ ، ص ١٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، حادثة ٥١ هـ ، دائرة المعارف الإسلامية ، ج ١٣ ، ص ٣٢٩ .

(٤) الطبرى : نفس المصدر السابق ، ج ٥ ، حوادث سنة ٤٤ ، المصعودي : نفس المصدر ، السابق ، ج ٣ ، ص ١٤ - ١٥ ، ابن الأثير : نفس المصدر ، ج ٣ ، ص ٤٤ .

(٥) الطبرى : تاريخ الامم والملوك ، ج ٥ ، حوادث سنة ٤٥ ، المصعودي : مروي اذ هي ج ٣ ، ص ١٤ - ١٥ .

يلبث أن ولاه حكم البصرة سنة ٤٥ هـ.

وقد ظن المغيرة في بادئ الأمر أن زياد انتقام من الكوفة وليس على البصرة حيث كان نزوله عند ما قدم من الشام في دار سلمان بن ربيعه الباهلي بالكوفة، فكان أن أرسل إليه المغيرة وأئل بن حجر الحضرمي يستطلع أمره – مما يذكر الطبرى – ولكنه سرعان ما قدم رسوله معاوية على زياد يطلب منه السير نحو البصرة حيث مقر عمله الجديد^(١).

كان المغيرة بن شعبة حسن التدبير، ولا عجب فقد كان أحد دهاء العرب وعقلائهم وأغراها المشهورين آنذاك^(٢)، فهو لا يرى بأسا في مسايرة الشيعة وعدم التضييق عليهم طالما أن أقوالهم لا تشكل خطراً يهدى حكم بن أمية بالعراق، فكان يظهر بسوق الكوفة ممتع أحد رجالات ثقيف من شيعة على ويدعى المختار بن أبي عبد الله العقى، وتصور الرواية التاريخية لنا صلة بابن أخيه – كما كان ينادي المختار ياعم – وأنه كان يشجعه على الاستئمانة بالعلوية أو غيرهم من الموالى، طالما أن ذلك سوف يحقق هدفه المنشود فيما بعد، فقد ذكر البلاذري^(٣) أن المغيرة: "كان يسيرا يوماً في السوق ويصحبه المختار أذ التفت إليه وقال: يا لها من غارة، يا لها جمعاً، أني لأشعر كلمة لونعم لها ناعق لا تبعوه ولا سيما الأعاجم الذين إذا القى عليهم الشيء قطلوه، فقال له المختار وما هي ياعم؟ قال المغيرة: يستأذن بآل محمد، فأغضضت عليها المختار".

وكان المختار يجل المغيرة ويبجله ويناديه دائمًا ياعم: ولم تزل كلمة المغيرة تتعدد في نفس المختار حتى استطاع أن يضعها موضع التنفيذ، وذ Vick في أعقاب استشهاد الحسين فـ كربلاه سنة ٦١ هـ^(٤).

(١) الطبرى: المصدر السابق، ج٥، ص ١١٦ .

(٢) الطبرى: المصدر السابق، ج٥، ص ١٦٤ ، الذهى: كتاب دول الاسلام، ج١ ص ٣٧ ، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج٤، ص ١٤٤٦ .

(٣) أنساب الأشراف، ج٥، ص ١٢٣ ، جواهير ابن: دراسات في التاريخ الإسلامي، ص ١١٠ ، ترجمة عطية الفوضى .

(٤) على حسنى الخريوطلى: المختار الثقفى مرأة العصر الاموى، ص ٢١ .

دور المغيرة بن شعبة في أمر البيعة ليزيد بن معاوية:

ولعل تسامح المغيرة مع رؤساء الشيعة بالكوفة من أمثال المختار بن أبي عبيد القاسم وحجر بن عدى ، كان سبباً في أن هم الخليفة بعزله عن الكوفة ، فقد لم يتوأمة المغيرة على تسامحة مع حجر ، وصاروا يحتون معاوية على استعفائه ^(١) . وتدكر الروايات التاريخية أنه لما علم المغيرة بتغيير الخليفة نحوه ، وأن معاوية أراد أن يعزله عن الكوفة ويستعين بخاصة سنته بين العام ^(٢) ، أسرع إلى دمشق لمقابلة الخليفة حتى يبقى في عمله بأثرنة ^(٣) . ابن قتيبة أن المغيرة كان أول من أشار على معاوية بولاية العهد لابنه . ولا تختلف رواية ابن الأثير أو رواية ابن خلدون عما نقله ابن قتيبة ، وتقول الرواية أن المغيرة دخل على معاوية بعد أن فاتح يزيد ابنه وحرضه على طلب ولاية العهد حيث قال ^(٤) : قد رأيت ما كان من سفك الدماء والاختلاف بعد عثمان ، وفي يزيد منك خلف فاعقد له ، فان حدثت حادث كان سهلاً للناس وخلفاً منك ، ولا تسفك دماء ولا تكون فتنة . قال : ومن لي بهذه قال أكفيك أهل الكوفة ويفيك زياد أهل البصرة وليس بعد هذين المصرىن أحد يخالفك .

لم يكن معاوية ليخفى عنه هذا القصد ، فقد كان يعد ابنه منذ صغره ليجعله من قريش الذين ينتفع بهم ، فأحسن تربيته وأسكنه معه في سقيفته ، كما أشركه منذ عهد مبكر نسبي الصوائف ، وأرسله على رأس جيش كبير لحصار عاصمة الروم القسطنطينية ^(٥) .

كان المغيرة أول من أوزع إلى معاوية بالبيعة لابنه يزيد فأصبح يجهر بها ، لا سيما بعد أن ضمن له المغيرة أهل الكوفة ، فقد كان معاوية متحوذ نفقة الناس ويرجو طائفته وذاته لوجود كثير من المرشحين للخلافة من أبناء الصحابة والتابعين ^(٦) .

(١) الأصفهانى : الأغانى ، ج ١٦ ، ص ٢ .

(٢) الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، ج ٥ ، ص ٣٠١ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ ، ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٦٢ ، الطبعة الثانية .

(٤) الامامة والسياسة ، ج ١ ، ص ١٤٢ ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ ، المقدم ، ص ١٨٤ ، حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ، ج ١ ، ص ٢٨٦ .

(٥) ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٣ ، حوادث سنة ٥٦ هـ .

ونقل السيوطى عن العبرى أنه قال : إنما أفسد أمر هذه الأمة اثنان : عمرو بن العاص
يؤمّ أشار على معاوية برفع المصاحف ، والمغيرة بن شعبه حين أشار على معاوية بالبيعة
لإيزيد ولولا ذلك لكانت شورى الى يوم القيمة^(١) .

وقد دافع ابن خلدون عما فعله الخليفة معاوية وشجعه عليه المغيرة بن شعبة واليه
على الكوفة يومئذ فهو يقول^(٢) : "والذى دعا معاوية لايثار ابنه يزيد بالعهد دون من
سواء انما هو مراعاة المصلحة فى اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باشراق أهل الحل والعقد عليه
حيثئذ من بنى أمية ، اذ بنواية يومئذ لا يرضون سواهم ، وهم حصابة قريش وأهل الملة اجمع
وأهل القلب منهم فآثره بذلك ٠ ٠ ٠ وعدل عن الفاضل الى المفضل حرصا على الاتفاق واجتماع
الأهواء ٠ ٠ ٠ الخ .

اما ابن الاشیر فهو يشكك في اخلاص المغيرة لمعاوية ، فهو يقول لاصحابه بعد أن رجع
إلى الكوفة^(٣) " لقد وضع رجل معاوية في غرز بعيد للغاية على أمة محمد ، وفتقى
عليهم فتقا لا يرتق أبدا " .

على أية حال ، فقد رجع المغيرة ظافرا بالبقاء في منصبه وأخذ يبحث أهل الكوفة على البيعة
لإيزيد ، فأجابوا إلى بيعته ولم يلبث أن أوفد منهم عشرة من الرجال ، وأعطاهم ثلاثة ألف
درهم^(٤) ، وجعل على رأسهم ابنه موسى ، حيث قدموه على معاوية في دمشق فزيروا له أمر

(١) تاريخ الخلفاء ، ص ٢٠٥ ، ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية الإسلامية ، ص ٨٣ .
(٢) المقدمة : ص ١٨٤ .

(٣) الكامل ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٠٦ .

(٤) كان معاوية يرى ان شرفاء الناس خير من قطعه أعناقهم ، فكان بذلك للحال وعطاوه ، وقد سار
المغيرة على منواله ، حتى اتهمه الناس بالرشوة ، فقد ذكر ابن قتيبة بأنه أول من رشافى
الاسلام ، حيث يقول على لسان المغيرة : انه ربما عرق الدرهم في يدي أرفعه ليعرف ليسهل
اذنى على عمر " ولا شك أن المغيرة كان يفعل ذلك في سبيل استماله للغوس " ولم يكن
بذل المال لشيخوخ الكوفة الا تنفيذا لسياسة معاوية بن أبي سفيان أيام حكمه ، المعارف
ص ٣١ ، جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، ج ١ ، ص ٩٠ .

البيعة لابنه يزيد ودعوه إلى عقدها^(١).

وفي رواية أخرى أن المفيرة بعث يومئذ بأربعين رجلاً من أجل البيعة، فلما دخلوا على معاوية قاموا خطباً، بين يديه، وجعلوا يشيرون عليه بضرورة البيعة بولاية العهد (بنته يزيد)، وأنه في ذلك مصلحة الأمة، فقد نقل ابن الأثير أنسهم قالوا له: يا أمير المؤمنين كبرت سنك وخفنا انتشار الجبل فانصب لنا علماً، وحدلنا حداً ننتهي إليه فقال: أشيراً على: نفتي^(٢) "در يزيد بن أمير المؤمنين"^(٣).

قوى عزم معاوية بعد أن سمع من وفد الكوفة، فبعث إلى زياد بن أبيه واليه على النصره يستشيره، وهو الناصح الأمين لديه يومئذ، فأرسل إليه لا يتوجه الامر، ونصحه بانتريث دون العجلة، وكان زياد يرى أنه يحسن بابنه يزيد أن يطلع عن ضروب بالعيث وهيءاً المثلث حتى يعلم الناس ذيك^(٤).

وعندما نسب المفيرة دوراً في جعل فكرة توريث يزيد الخلافة قابلة للتذميت بعد صدوره بين أهل الكوفة وعمل على رواجها، ولكن فكرة جعل الحدم وراثياً جاءت غريبة على العرب، فحسب ما فقد كانت الريادة عند العرب أيام الجاهلية داخل نطاق القبيلة، وكان من تقاليد العرب الموروثة أن يختار شيخ القبيلة يومئذ من يخلفه بعد وفاته ولم يكن معروفاً لديهم مسألة انتيصة مقدماً قبل الوفاة، وكذلك لم تعرف الجماعة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين شيئاً عن آخر البيعة للابن بولاية العهد قبل وفاة الخليفة^(٥).

وكان من أمر البيعة ما نامت بنا، على رأى المفيرة لوه ان صادرت هوى في نفس معاوية، الذي ظل عشرين عاماً بالشام مجاوراً للدولة البيزنطية، والتي كانت تأخذ بنشر وراثة العرش^(٦).

(١) الطبرى: *تاريخ الأمم والملوك*، ج٥، ص٣٠٢، ابن الأثير: المصدر السابق، ج٤، ص٣٤٩.

(٢) الطبرى: *تاريخ الأمم والملوك*، ج٥، ص٣٥٠.

(٣) نفس المصدر، حوادث سنة ٦٥، ابن الأثير: *الكامل*، ج٢، حوادث سنة ٦٥ هـ.

(٤) محمد جمال الدين سرور: *الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية*، ص٩٧ - ٩٨.

(٥) حسام الدين عبد الرؤوف: *معالم تاريخ الإسلام*، ص١٢٦.

وقد استطاع المغيرة عامل معاوية أن يحقق فكرته حيث نجح في سعيه ومار بين أهل الترفة من مال إلى البيعة، كما نجح معاوية بعد مضي بعض سنوات في سبيل ذلك، وبعد وفاة المغيرة سنة ٥٠ هـ، وموت زيد بن أبي الأبيه، يرى ابن الأثير أن معاوية بعث إلى عبد الله بن عمر يدعوه إلى البيعة، كما كتب إلى مروان بن الحكم عامله على المدينة من أجل الحفاظ على وحدة الأمة، يقول: إن قد كبرت سنى، ودق عظمى، وخشي الاختلاف على الأمة بعدى، وقد رأيت أن أتخير لهم من يقوم بعدى، وكرهت أن أقطعه أمرا دون مشورة من عندك فأعرض ذلك عليهم فأعلمى بالذى يردون عليك، فقام مروان في الناس فأخيرهم به "فكان زر الناس عليه أن قالوا: "أصاب ووفق" (١).

وهكذا أنصر غرس المغيرة بن شعبة، وقرر معاوية أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد سنة ٦٥ هـ، فأقبلت عليه وفود الأمصار بدمشق، فكان يأخذ بد البياع في يده حتى وهو كاره لذلك، فكان يرد عليه: بايع فان الله قد جعل في المكره خيرا كثيرا (٢) وقد اتاج مجيئ الوفود إلى دمشق قيام الاحتفالات ومشاركة الخليفة فيها وسائر الشعراء والخطباء (٣).

ولا شك أن تلك البيعة التي تمت في دمشق ليزيد بولاية العهد، كانت انتصارا للأمر الواقع، ونتيجة لتلك الظروف التي طرأها وطبعها الناس التي تغيرت، وأنه لو لا ذلك ما نجحت مشورة المغيرة في تحقيق ما كان يصبو إليه معاوية، وتصبح الخلافة وراثية بعد ذلك، أو كما يقول المؤرخون "ملكا عضودا" (٤).

ولعمل فكرة عزل المغيرة من منصبه، لم تكن هي الدافع وراء سعيه نحو دمشق وأبداً هذه المشورة، فقد نقل الطبرى (٥) أن المغيرة كتب إلى معاوية يستعفيه من ولايته على الكوفة، وذلك لكبر سن وشقيقه له، ولكن معاوية لم يجبه إلى طلبه، فهو يقول في

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٣، ص ٣٥١.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٨٣، محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ص ٦٤.

(٣) عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية، ج ٢، ص ٦٤.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ١٧٨، ضياء الدين الرئيس: النظريات السياسية والإسلامية، ص ٦٤.

(٥) تاريخ الأمم والدول، ج ٥، ص ٣٣١.

كتابه : وتدكر أن قريشا شنت ذلك (أى أبغضتك) ولعمرى ما أصبت خيرا الا منهم ، وتسألنى
أن أعزلك » فقد فعلت ، فان تلك صادقا فقد شنعتك وان تكون مخدعا فقد خدعتك « .

ومن المعروف أن المغيرة لم يعزل معاوية وإنما ظل أميرا على الكوفة حتى أصاب الناس بها
الطاعون ، فأسره بالخروج منها سنة ٤٩ هـ ثم عاد إليها فطعن ومات سنة ٥٠ هـ^(١) . وفي
رواية أخرى أوردتها الطبرى أن وفاته كانت سنة ٥١ هـ^(٢) وقد دفن بها^(٣) .

(١) ابن قتيبة : *المعارف* ، ص ١٦٧ ، المسعودى : *مروج الذهب* ، ج ٣ ، ص ٣٣ .

(٢) *تاريخ الأمم والملوك* ، ج ٥ ، ص ٢٥٥ .

(٣) اخذه الناس عندما حاول عضد الدولة بنا ، المشهد على قبر علي ابن أبي طالب ، بالковة
حتى قيل له *هذا المغيرة بن شعبة الثقفى* ، وقد مرأوا به كما يذكر المسعودى على
المغيرة يومئذ وهو يدفن فقال :

أرسم ديار المغيرة تعرف عليهـا دوى الانـس والجن تعرـف
فإن كـنت لاقيـت هـاماـن بعدـنا وفرـعون فاعـلم أن ذـا العـرش منـصف
مروـج الـذهب ، ج ٣ ، ص ٣٣ ، ابن خـلـكان : وفيـات الـأـعـيـان ، ج ٤ ، ص ٥٥ .

مَصَادِرُ وَمَرَاجِعُ الْبَحْثِ

أولاً: المصادر العربية:

- ١ - ابن الأثير: غزال الدين أبو الحسن على الجزرى ت ٦٣٠ هـ
- * الكامل في التاريخ ، الأجزاء اثنالثة - بيروت - ١٩٨٢ م.
- ٢ - أبو بكر بن العربي: محمد بن عبيد بن محمد المعافري ت ٥٤٣ هـ
- * العوامض من القوامش في تحقيق مواقف الصحابة - بيروت - ١٩٨٥ م.
- ٣ - البلاذري: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي ت ٢٢٩ هـ
- * فتح البلدان ، مراجعة وتعليق رضوان محمد رضوان - بيروت - ١٩٨٣ م.
- ٤ - ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م.
- * المقدمة ، القاهرة ، مكتبة الحاج عبد السلام محمد بن شقرور.
- ٥ - السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ١١١ هـ
- * تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد .
- ٦ - الطبرى: محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ / ٩١٣ م.
- * تاريخ الأمم والملوك ، الأجزاء الخمسة الأولى .
- ٧ - ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ت ٢٢٦ هـ
- * المعارف - دار الكتب العلمية - بيروت .
- * الامامة والسياسة ، جزءان: تحقيق طه محمد الزيني .
- ٨ - قدامة بن جعفر: ت ٣٢٨ - وقيل ٣٣٢ هـ
- * الخراج وصنعة الكتابة ، تحقيق: محمد حسين الزبيدي ، بغداد ١٩٨١ م.
- ٩ - الماوردي: علي بن محمد حبيب البصري ت ٤٥٠ هـ
- * الأحكام السلطانية والولايات العربية ، دار الفكر ، ١٩٨٣ م.
- ١٠ - المسعودي:
- * مروي الذهب ومعادن الجوهر ، الأجزاء الأربع ، ط الرابعة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ .
- ١١ - ابن هشام: عبد الملك بن هشام المعافري ت ٢٢٣ هـ
- * السيرة النبوية ، مجلدان ، تقديم وتعليق طه عبد الرؤوف - عد - القاهرة .

- ١٢ - ياقوت: ابن عبد الله الحموي ت ٦٦٦ هـ / ١٢٢٨ م .
 * معجم البلدان ، الأجزاء، السنة ، دار أحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣١٩ هـ
 ١٣٩٩ هـ - ١٩٢٩ م .
- ١٣ - اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب ت ٢٧٨ هـ .
 * البلدان ، طبعة ليدن ، ١٨٤١ م .
- مانيا: المراجع الحديثة :
- ١٤ - أحمد أمين: فجر الاسلام ط الثامنة ، القاهرة .
 ظهر الاسلام الجزء الأول ، ط. الرابعة .
- ١٥ - السيد عبد العزيز سالم: دراسات في تاريخ العرب ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ط.
 الاسكندرية ، نشر مؤسسة شباب الجامعة .
- ١٦ - جرجس زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، الجزء الأول .
- ١٧ - حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والمدني والثقافي والاجتماعي ، الجزء
 الأول ، ط العاشرة ، ١٩٨٥ م .
- ١٨ - رمذان عبد الوهاب الخيره : ادارة العراق في صدر الاسلام ، بغداد ، ١٣٩٨ هـ - ١٩١٩ م .
- ١٩ - طه حسين : الفتنة البري ، جزءان ، دار المعارف .
- ٢٠ - عبد النعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، جزءان ، ط الثانية ، ٦٠ م .
- ٢١ - حسام الدين عبد الرؤوف: معالم تاريخ الاسلام ، الكويت ، ١٩٩٠ م .
- ٢٢ - علي حسني التربوطلى : المختار الشقى مرآة العصر الاموى ، سلسلة أعلام العرب ، عكا ، ١٤٢٣ هـ .
- ٢٣ - محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين
 الأول والثاني بعد الهجرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة .
- ٢٤ - محمد حسن الزبيدي: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في القرن الاول الهجري ، بغداد
 ١٩٧٠ م .
- ٢٥ - محمد متير حبيب : الدعاية السياسية في العصر الاموى ، القاهرة ١٩٨٦ م .
- ٢٦ - محمود اسماعيل عبدالرازق: الخوارج وقضية التحكيم ، بحث منشور بالمجلة التاريخية
 المصرية ، المجلد العشرون ، ١٩٧٣ م .
- ٢٧ - يوليос غلهوزن: الخارج والشيعة ، ترجمة عبد الرحمن بدوى ، ط الثالثة ، الكويت .

28 - Creswell.K.A.C.

- A Short Account of Early Muslim Architecture,
Cairo, 1989 .

29- Lammens, H.

- Etudes Sur la Siecle des Omyyades, Byrouth,
1936 .

30- Nicolson. R.A.

- Aliterary History of The Arabs, London, 1907.

31- Wellhausen:

- The Arab Kingdom and its Fall, Calcatta, 1927.

* * *